المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية
المجلد الثامن - العدد الثالث - 1399 - 1979

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين شكير

الشيخ عبدالعزيز الثعالبي

بقلم

عبدالرزاق الهلالي

بغداد ـ الجمهورية العراقية

من الشخصيات العربية الكبيرة التي زارت العراق ومكثت فيه فترة طويلة من الزمن ، المجاهد التونسي الكبير ، المغفور له ، الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ، وكانت سمعة هذا المجاهد الوطني ، واخبار كفاحه ونضاله ضد الاستعمار الفرنسي ،قد سبقته الى العراق ، ولذا لم تكد تصل اخبار جولته في اقطار الشرق اليه ، حتى سارعت الحكومة العراقية الى توجيه الدعوة له لزيارة العراق .

*** من هو الثعالبي ؟**

ويطيب لنا قبل ان نتحدث عن هذه الشخصية في العراق ، ان نعطي القارىء ، نبذة موجزة ، عن حياته ، فنقول :

هو عبدالعزيز بن ابراهيم بن عبدالرحمن الثعالبي . ولد في تونس سنة ١٨٧٤(١) . وشب ونشأ فيها ، ودرس في المدرسة الصادقية ، ولما تخرج فيها توجه بعد مدة ، الى القاهرة . وهناك التقى بالمرحوم الشيخ محمد عبده ، والمرحوم الشيخ محمد رشيد رضا ، صاحب (المنار) وحضر حلقاتهما وتأثر بدعوتهما نحو الاصلاح الديني والاجتماعي(٢) .

*** في مضمار الكفاح والجهاد :**

وبعد ان قضى فترة من الزمن في القاهرة ،عاد الشيخ الثعالبي ، الى وطنه ، ليشارك في الحركة الوطنية التي كان يتزعمها انذاك الزعيم التونسي الكبير (علي باش حمبة) .

ولما الف هذا الزعيم ، بعدئذ حزب (تونس الفتاة) سنة ١٩٠٨ اصدر جريدة ناطقة بلسان الحزب باسم (التونسي) وكانت تصدر باللغتين الفرنسية ، والعربية ، وقد اسند رئاسة تحرير الطبعة العربية منها ، الى الشيخ عبدالعزيز الثعالبي . فكان هذا الحزب ، وجريدتاه ، مصدر قلق للسلطة الفرنسية الغاشمة ، ولذا كانت تتربص الفرص ، للخلاص منهم بأية صورة من الصور .

ولما احتلت ايطاليا ، ليبيا سنة ١٩١١م ،ثبت في القطر التونسي مظاهرات شعبية كبيرة ضد هذا الاحتلال بقيادة الحزب ، اسفرت عن وقوع مصادمات بين التونسيين والايطاليين ،

---

(١) بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده نشرت في مجلة الاديب بعددها الصادر في شهر اكتوبر سنة ١٩٧٤ مقالا بعنوان (عبدالعزيز الثعالبي في بغداد) .

(٢) الاعلام ٤/١٣٦ خيرالدين الزركلي .

WWW.ATTAWEEL.COM

فاغتنم الفرنسيون هذه الفرصة ، وقرروا ، حظرعمل حزب تونس الفتاة ، والغوا صحيفتيه ونفوا زعيمه (علي باش حمبه) خارج القطر التونسي ،وسجنوا الشيخ عبدالعزيز الثعالبي .

*** الثعالبي في باريس :**

وبعد ان امضى الثعالبي في السجن فترة منالزمن ، اطلق سراحه عند ذاك ، غادر تونس متوجها الى باريس ، ومنها سافر الى استانبولحيث تعرف خلال اقامته فيها ببعض الشخصيات العربية ، مثل الامير فيصل بن الحسين (الذياصبح ملكا على العراق) وشاعري العراق الكبيرين معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاويوغيرهم .

ومن هناك سافر الى الهند ثم الى جاوة ،ليستطلع احوال المسلمين في هذه البلاد ويلقي فيها بعض خطبه الاصلاحية الاستنهاضية .

*** العودة الى تونس :**

وفي سنة ١٩١٤م ، وقبيل اندلاع نيرانالحرب العالمية الاولى ، عاد الى تونس ، ليعمل مع اخوانه في سبيل استقلال وطنه ومناوأةالسياسة الفرنسية الغاشمة ، بالسر والعلن . وظل في وطنه حتى نهاية هذه الحرب الضروس ،التي رجحت فيها كفة الحلفاء على المانيا وتركيا .

*** الى باريس ثانية :**

وفي سنة ١٩١٨م ، توجه الشيخ الثعالبي ،الى باريس ، للمطالبة بحق بلاده بالحرية والاستقلال ، في مؤتمر السلام ، المنعقد هناك ،وخلال وجوده فيها اتصل بالعديد من الساسة الفرنسيين ، واصدر بالفرنسية كتابه الموسوم بـ(تونس الشهيدة ومطالبها) باللغة الفرنسية ، بين فيه مظالم الحماية الفرنسية واستئثارها بالحكموسلب الحريات العامة ، والتصرف بالاوقاف الاسلامية والاستيلاء على مرافق البلادالمختلفة الخ(٢) .

وبالنظر لهذا النشاط السياسي الكبير ،اتهمته السلطة الفرنسية ، بالتآمر عليها ، وقررت اعتقاله ، ثم نقلته الى تونس حيث اودع فيهاالسجن . وكان ذلك في سنة ١٩٢٠ فمكث في سجنه تسعة اشهر .

*** في ميدان العمل السياسي :**

وبعد ان انهى مدة السجن ، عاد من جديدلممارسة العمل السياسي مع اخوانه ، ولما قرروا تاسيس حزب جديد باسم (حزب الدستور)انتخبوه رئيسا له ، فاخذ هذا الحزب ، يعمل بجد ضد السياسة الاستعمارية .

ومن المفارقات العجيبة ، التي نذكرها ، انولي العهد الامير محمد الحبيب ، بن (الباي الناصر) كان على صلة كبيرة مع قادة هذا الحزب،ويؤيد مطالبهم القومية . الا انه عندما توفى والده ، واصبح هو (الباي) سرعان ما تنكر لهم ،وراح يرصد حركاتهم .

*** الثعالبي يغادر وطنه :**

فتجاه هذا الوضع ، آثر الشيخ عبدالعزيزالثعالبي ، مغادرة وطنه ، اسفا على هذا التنكر المفاجيء ، من هذا (الباي) الذي كان يظهر لهمالتاييد والود عندما كان ولبا للعهد .

توجه الاستاذ الثعالبي ، هذه المرة ، الىبلاد المشرق ، وكان ذلك في سنة ١٩٢٣ فاقام بالقاهرة ، فترة من الزمن ، ثم توجه الى الحجاز،ومن هناك ، توجه الى الهند ، ثم توجه الى مسقط، والبحرين والكويت ، وكان خلال اقامته في هذهالبلاد موضع تقدير زعمائها وقادتها ورجال الدين فيها . وكانت له فيها كثير من الخطب الرنانة فيسبيل استنهاض الشعوب الاسلامية واصلاحها على وفق ما كان يدعو اليه السيد جمال الدينالافغاني .

---

(٢) (القومية العربية : تاريخها وقوامها ومراميها)للاستاذ مصطفى الشهابي . القاهرة سنة ١٩٥٨ .

*** دعوة من العراق :**

كانت اخبار تحركات هذا المجاهد التونسي الكبير ، وتنقلاته ؛ تنشر في الصحف العراقية ، وبانتظر لما يعرف العراقيون عن نضاله وجهاده في سبيل العروبة والاسلام ؛ فقد قررت حكومة العراق ، وكانت انذاك برئاسة المغفور له ، السيد ياسين الهاشمي ؛ توجيه ؛ دعوة لهذا الزعيم ، لزيارة العراق فتقبل منها هذه الدعوة الكريمة بيد الشكر والامتنان .

*** الثعالبي في بغداد :**

وفي يوم ١٤ تموز سنة ١٩٢٥ ، وصل الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ، الى بغداد ، واستقر به المقام في احد فنادقها وهو الفندق المسمى بـ(الفندق اللوكي) .

وما ان سمع قادة الفكر والادب والسياسة بوصوله ؛ حتى سارعوا للسلام عليه والترحيب به ، لا سيما اولئك الذين كانت لهم معه معرفة سابقة في استانبول .

حفلة تكريمية كبرى

ولم يمض على اقامة هذا المجاهد الكبير ،اسبوعان في بغداد ، حتى فكر عدد من ادباء بغداد ، في اقامة حفلة تكريمية له ، تقديرا منهم لجهاده الوطني ونضاله في سبيل حرية بلاده وكل البلاد الاسلامية ؛ فتالفت لهذا الغرض لجنة تنظيمية لهذه الحفلة التي قرروا اقامتها مساء يوم ١٤ اغسطس سنة ١٩٢٥ .

وننقل في ادناه الوصف الذي كتبته جريدة العراق في عددها الصادر يوم ١٩٢٥/٨/١٥ ، عن هذه الحفلة ؛ وفيما يلي نصه :

حفلة تكريم الثعالبي

« اقيم يوم امس ، حفلة شائقة لتكريم الزعيم التونسي الاستاذ الشيخ عبدالعزيز الثعالبي، في (رويال سينما) حضرها عدد من النواب والاعيان والادباء ، وكبار رجال العاصمة ، حتى غصت ردهة السينما على سعتها وقد افتتحت الحفلة بخطاب من قبل اللجنة المنظمة للاحتفال ؛ ذكرت فيه ، نبذة موجزة عن تاريخ الرجل ، تلاه مصطفى عزت عبدالسلام ؛ واعقب ذلك قصيدة لانور شاؤول ، بين فيها موقف العراقيين نحو كل وطني عربي ينهض لتحرير بلاده . ثم اعقب ذلك خطبة لتوفيق السمعاني ، بين فيها منزلة الرجل الذي يخدم الانسانية باخلاص . واعقبه على الخطيب ، بقصيدة عنوانها (هو اخي) فكانت قصيدة وطنية ، اعيد اكثر ابياتها ثم خطبة للانسة بولينا حسون ، صاحبة مجلة (ليلى) ذكرت فيها النهضة العراقية وتقدمها .

واعقب ذلك قصيدة للاستاذ الزهاوي ، في جوانب شتى ، اعيد معظم ابياتها وقوطعت بالتصفيق العجاج . وبعد ذلك انشد الاستاذ الرصافي ، قصيدة بديعة جمعت بين الحماسة والوطنية وبين خدمات المحتفى به وشخصيته فاكبرها الحضور وبعد ذلك القى المحتفل به ، وارتجل خطابا بليغا ، بحث فيه عن نواقص الشرق الاجتماعية ، وحاجته الى التكاتف والى تاسيس المؤسسات المختلفة التي تنهضه من كبوته .

وبعد ذلك انفض عقد المدعوين ، وكلهم معجبون بوطنية هذا الزعيم شاكرين ، لهيئة المنظمة للاحتفال . »

*** قصيدتا الزهاوي والرصافي :**

ونظرا لاهمية قصيدتي الاستاذين جميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي ، اللتين القيتا في هذه الحفلة ؛ فقد اثرنا ان نثبتهما في هذا المقال ؛ خدمة للباحثين الذين يؤرخون حياة هذا الزعيم الوطني في الفترة التي قضاها في بغداد .

اولا :ـ قصيدة الزهاوي

ولقصيدة الشاعر جميل صدقي الزهاوي ،هذه ، قدمة طريفة ، سارويها للقاريء الكريم ، بعد نشرها كاملة ، وفق ما يلي :

وقفت نحيفا بالعزيز ، ارحب ... فانشد للتكريم شعرا فاطرب
اقوم على عجزي بما هو واجب ... واذكر فيه بعض ما الحق يوجب
حفلنا جميعا بالرجاحة والحجى ... وبالعلم ؛ ان العلم شيء محبب
وتحفل بغداد وتحفل دجلة ... وكل امرىء من ماء دجلة يشرب
احييك يا عبدالعزيز تحية ... لها الحب أم والوفاء لها اب
احييك من ضيف لبغداد نافست ... به فهي عن احساسها اليوم تعرب
احييك من حبر رسا طود علمه ... وبحر خضم ماؤه ليس ينضب
لقد لحت في الزوراء تومض للهدى ... كما لاح في جوف الدجنة كوكب
حللت بها والروض ليس بمخصب ... فما طل الا وهو ريان مخصب
رايت رياح العلم في الروض باقيا ... وكل رياح دون ذلك يذهب
الى الادب العصري للعرب حاجة ... وانك يا عبدالعزيز المؤدب
وكم لك في الايام من وطنية ... بانارها سرت نزار ويعرب
وكم لك من قول جدير بانه ... على صفحات الدهر بالتبر يكتب
ولم تغترر بالدهر قد سالم الحجى ... لعلمك ان الدهر بالناس قلّب
يقولون ليلى(*) في صباها ترهبت ... فهل مثل ليلى في صباها ترهب
ابى الله ان تختار ليلى ترهبا ... وليلى لشعب كامل هي مارب
ولا انس ليلى اذ دنت تعجل الخطى ... ولا عين غير النجم في الليل ترقب
واذ هي تبدي اعتذارا من النوى ... واذ انا اشكو ما لقيت واعتب
شفيعي الى ليلى هو الشعر ضارعا ... وذلك دمعي من نمي يتصبب
لقد كنت ابكي بالدموع غزيرة ... واني بشعري اليوم ابكي واندب
وما بال عيني تحبس اليوم غربها ... وكانت لفيّاض من الدمع تسكب
تعالي نبرد غلتينا بقبلة ... فما هي الا وقفة ثم نذهب
اذا كان ذنبا ما اعاني من الهوى ... فاني يا ليلى اليك لمذنب
لقد حببت لي النفس مني على النوى ... تراص لليلى اليوم فيهن ملعب
ولا مثل ليلى في الملاح خريدة ... وان جملت في العين سعدى وزينب
اذا بسمت ليلى فدهري باسم ... وان قطبت ليلى فدهري مقطب
وان برزت تمطو فكانت كانها ... غزال لخفل من الروض يلعب
وقد صدحت تشدو فكانت كانها ... على وتر من مزهر القلب تضرب
ولم تك ليلى في قريض اجيده ... سوى وطن كل الذي فيه طيب
وما انت الا عالم ذو صراحة ... بها الناس مهما ، اجفلت تتهذب
كذلك نور الشمس اما تكشفت ... فان بها الارض الكريمة تخصب

(*) كان الزهاوي ، يكثر من تردد كلمة (ليلى) في شعره ، فلما سئل عما يريد وما يقصد بليلى ، اجاب ، ان (ليلى) هي وطنه العراق .

ولا خـــير في ارض وان جـــم ماؤها ... اذا كان عنهـا رونق الشمس يحجب
ولا خوف في الدنيا وان راب حرفهـا ... على امـــة بالمصلحـــين تؤدب
وما شاعـــر يوفيـك حقـــك حافلا ... وان كان في اوصـافك الغـــر يسهب
سلكت طريق الشعر شيخا ويافعـــا ... ومـــا كنت في ادعـــاره اتنكب
وكنت على الاضـــواء انظم عقـــده ... وغيري في داج مـــن الليـــل يحطب
واقبـــح شعر قيـــل ما كان كاذبا ... واحسن شعر قيل ما ليس يكـــذب
واصـــدق شعـــر انت يوما تقولـــه ... شعـــور اذا ما صب في النظم يخلب
شعور مهيـــج حشـــوه كهرباءة ... اذا اتصلت بالسامعـــين تكهـــرب
وان الذي قـــد رام بالجهـــل نقده ... ليشـــبه طفـــلا جاء بالنـــار يلعب
وانكد طير بلبـــل بات عشـــه ... باظفـــار غربان الفســـاد يخرب
لقد طال ليل الجهل واســـود عابسا ... اذا انزاح منـــه غيهب جـــاء غيهب
يحيط بنا والعـــين ترنـــو مروعـــة ... الى النجم إذ لبست عن العين تغـــرب
انى ان بدا في الشرق فجـــر رانـــه ... لمـــن راعـــه الليـــل البهيم محبب
بدا الفجـــر او عنوانـــه في بياضـــه ... وما قد بدا منـــه الى الصدق اقرب

ثانيا : قصيدة الرصافي

بين تونس وبغداد

اما قصيدة الاستاذ الرصافي ، التي القاها في هذه الحفلة فهذا نصها الكامل(٥) :

اتونس ان في بغـــداد قـــوما ... ترف قلوبهـــم لـــك بالـــوداد
ويجمعهـــم وايـــاك انتســـاب ... الى من خص منطقهم بضـــاد
ودين اوضحت للنـــاس قبـــلا ... نواصـــع آيـــه سبل الرشـــاد
فنحـــن على الحقيقـــة اهـــل قربى ... وان قضت السياســـة بالبعـــاد
وما ضـــر البعـــاد اذا تدانت ... اواصـــر من نســـان واعتقـــاد
وان المسلمـــين على التآخـــي ... وان اغـــرى الاجانب بالتعـــادي
اتونس ان بحـــدك ذو انتمـــاء ... الى علبـــا نـــزار او ايـــاد
نـــا (بثعالبيك) خـــير ملـــق ... على اشتاتنـــا حبـــل اتحـــاد
واكبـــر حامـــل بيـــد اعتزام ... لحـــب بلاده علـــم التفـــادي
واســـمى من ســـما ادبا وعلمـــا ... وافصـــح من تكلم عن ســـداد
دع القـــول المريب وقائليـــه ... وسل عنـــه المنابر والنـــوادي
تجـــده خطيبهـــا من كل خطب ... ومدرهها لـــدى كل احتشـــاد
فتى صلحـــت عزائمـــه وجلت ... عن الروغـــان في طلب المـــراد
تغـــرب ضـــاربا في الارض يبغـــى ... مدى من دونـــه خرط القتـــاد
فاوغـــل في المفـــازز والمواســـي ... وطـــوف في الحواضـــر والبـــوادي
وكان طوافـــه شـــرقا وغربا ... لغـــير تكســـب وســـوى ارتغـــاد

(٥) نشرت هذه القصيدة في الجزء الثاني من ديـــوان الرصافي الذي طبعته وزارة الاعلام سنة ١٩٧٤ . في الصفحة ٢٦١ .

ولكن ســـاح لاستنهـــاض قوم حكوا بجمودهم صفـة الجمـــاد
يغـــار على العروبـــة ان يراها مهـــددة المصـــالح بالفســـاد
فاني ســـار كان لـــه هـدير يهـز دويـــه اقصى البـــلاد
وكم قـــد قام في ناد خطيبـــا بمحكمـــة المقاصـــد والمبـــادي
تنـــير بكهـــربائي المعـــاني امـــورا كـــن كالظلـــم الـدآد
تحـــل من القلوب اذا وعتهـــا محـــل الحب مـــن شغف الفـــؤاد
انى ان جاء حاضـــرة نمـــاها ابو الانمـــاء ذو الشـــرف التـــلاد
فكان نزولـــه في ساكنيهـــا نزول المـــاء في المهـــج الصـــوادي
فيـــا عبدالعـــزيز اقم عزيـــزا بحيث الارض طيبـــة المـــراد
يحييـــك العـــراق برافديـــه تحيـــة مخلـــص لـــك في الـــوداد

* * *

قصة طريفة

عن قصيدة الزهاوي

قلنا ، ان لقصيدة الاستاذ الزهاوي ، قصةطريفة ، فما هي هذه القصـــة يا ترى ؟ وكيف وقعت ؟ هذا ما افصله للقاريء باختصار وفـــقما يلي :

ــ لعل كثيرا من القـــراء (لا سيما اولئـــكالذين عايشوا احداث العشرينات وما بعـــدها ،) اقول لعل هؤلاء ، يتذكرون تلك الخصومة الشديدةالتي قامت بين شاعـــري العـــراق الكبيرين ، الاستاذين جميل صدقي الزهاوي ، ومعـــروفالرصافي .

ففي هذا الجو المتأزم بينهما ، وصل الشيخعبدالعزيز الثعالبي ، الى بغـــداد ولما رغب بعض ادباء بغداد في اقامة حفلة تكريمية لهذا المجاهـــدالوطني الكبير ، كان لابد لهم من مفاتحـــة هذين الشاعرين للمشاركة في تكريم هذا الرجـــل الذيحل ضيفا كريما في بغداد . ولكن ما الذي حـدث بعد هذه المفاتحة ؟

اسجل هنا ما رواه لي الاستاذ مصطفى عليشخصيا عندما سألته عن هذه الحادثة فقال مـا خلاصته :

ــ عندما ذهب بعض اعضاء الهيئة المنظمـةلحفـــل تكريم الثعـــالبي الى الاستاذ الرصافي ، يطلبون منه المشاركة فيهـــا ، بقصيدة ، وافـقلسابق معرفتـــه بالشيخ الثعالبي في استانبول ، ولكنه سألهم ان كانوا فاتحـوا الزهاوي ، بذلكام لا ؟ فقالوا .. لا ولكنا سوف نفاتحـه . عندها قال لهم الاستاذ الرصافي :

ــ اذا ذهبتم الى الزهاوي ، فانه ســـوفيسألكم ان كنتم فاتحتموني بالامـــر ام لا ؟ فاذا كان جوابكم الايجاب ، فانه ســـوف يرد طلبكم ،ولذا اقول لكم ... قولوا له ، كلا لم نفاتحه ، بل نكتفي بك وحدك وعند ذاك يفرح ويجيب طلبكم .

قال الادباء ، ولكن ماذا نقـول في منهـــاجالحفلة ؟ انتـطب اسمك يا استاذ ؟ قال الرصافي :

ــ ليكن المنهج خاليا من اسمي ، ولكن بعـدان ينتهي الاستاذ الزهاوي ، من انشاد قصيدته ، يعلن عريف الحفل ، ان للرصافي قصيدة بهـذهالمناسبة ايضا وينتهي كل شيء وفق ما تريدون .

ووفق هذه الخطة ، ذهب الادباء الى الاستاذالزهاوي ، فسألهم السؤال الذي توقعه الرصافي، فقالوا له بالنفي ، فـــر ووافق على نظم قصـــيدةبهذه المناسبة .

واقيمت الحفلة والقى الزهاوي قصيدته ولما نزل من المنصة وهو في اشد حالات السرور والابتهاج ، اعلن عريف الحفل قائلا :

ـ والان يتقدم الشاعر الكبير الاستاذ معروف الرصافي ، الذي ابى الا ان يشارك في تكريم الثعالبي .

فلما سمع الزهاوي ذلك ، غضب غضبا شديدا ، ونهض من كرسيه ، وغادر القاعة وهو في اشد حالات التأثر والانزعاج .

تلك هي القصة التي رواها لنا الاستاذ مصطفى علي ، وقد اكد لنا خروجه من القاعة ، على هذه الصورة الاستاذ رفائيل بطي ، بمقال نشره على صفحات جريدة العراق ، بعددها الصادر يوم (١٩/٨/١٩٢٥) وقال فيه :

ـ (واسطع برهان على عقليته ـ اي الزهاوي ـ وشدة بغضه للرصافي ؛ حينما قام الرصافي لينشد في الحفلة التي اقيمت للمصلح الكبير الثعالبي يوم الجمعة الماضية ، في سينما رويال .)

ومن الغريب حقا ، ان يذهب عدد من الكتاب ، الى قلب هذه الصورة ، فيذكرون ان الاستاذ الرصافي ، هو الذي هرب ذات يوم ، عندما دعي الى حفلة اقامها طلاب الثانوية المركزية ، ووقف فيها الشاعر الزهاوي ، وينشد قصيدته التي يقول فيها :

ولشعري في بغداد روح جديدة وللشعر اعباء اقوم بها وحدي

فغضب الرصافي وقام متحجا !!

هذا ما قاله بعض هؤلاء الكتاب(٦) عن هذه الواقعة ، وقد صححناها بكتابنا الموسوم بـ (الزهاوي : الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر) الذي اصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة سنة ١٩٧٦ .

كيف حصلت على القصيدة

وحيث اني ، وانا اكتب مقالي عن (الثعالبي في بغداد) لم اعثر على القصيدة التي انشدها الزهاوي في الحفلة التكريمية ، قلت في المقال ما نصه :

ـ (هذا وكنا نود اثبات بعض ما انشده الاستاذ الزهاوي ، في هذا الحفل الا اننا لم نعثر مع الاسف على هذه القصيدة في ديوانه الذي طبع في سنة ١٩٢٨ .)

ولما اطلع الاديب التونسي الاستاذ الحبيب شيبوب على كلمتنا هذه ، بعث الي رسالة ومعها ، نسخة من قصيدة الزهاوي ، منقولة من جريدة الفيحاء الدمشقية بعددها الصادر في ٢٥ ايلول سنة ١٩٢٥ ، قال فيها :

(... واغتنم هذه الفرصة ، فابعث اليكم نسخة من قصيدة الزهاوي في تحية الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ، والمعذرة على ارسالها كما هي ، لاني تسلمتها من احد الاخوان وليس عندي غيرها .)

وليس من شك في ان تفضل الاستاذ شيبوب علي بها ، قد جاء في وقته ، اذ جاءت قبل ارسال مسودات كتابي آنف الذكر ، الى المطبعة ، فتسنى لي اثبات الكثير من ابياتها تحت عنوان (قصيدة الترحيب بالثعالبي) .

---

(٦) نذكر منهم الاساتذة :

١ ـ عبدالحميد الرشودي في كتابه (ذكرى الرصافي) .

٢ ـ خيري العمري في كتابه (شخصيات عراقية).

٣ ـ الدكتور ماهر حسن فهمي في كتابه (الزهاوي) .

الملك فيصل الاول والثعالبي

كان الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ، على معرفةسابقة بالملك فيصل الاول ورستم حيدر رئيس الديوان الملكي ، من استانبول وباريس ، ولذلك لميكد يصل الى بغداد ، حتى سارع بالسلام على الملك وشكره على تفضل حكومته بدعوته لزيارةالعراق .

ولما كان الملك فيصل على معرفة تامة بعلاقةالثعالبي بالاستعمار الفرنسي وكيف انه لم يعد قادرا على العودة الى وطنه ، لذا اقترح عليه انيظل في بغداد مكرما معززا ، ولكي تكون اقامته هذه على وفق هواه اقترح عليه ، ان يكون استاذاً في (جامعة آل البيت) التي قامت في بغداد منذ سنة .

شكر الثعالبي ، هذا اللطف وابد ما ابداهوقال انا بانتظار امر جلالتكم . وغادر البلاط الملكي وهو مسرور بهذا اللقاء .

*** بين الديوان الملكي ووزارة الاوقاف :**

وعرض الملك فيصل الاول ، فكرة الاستفادةمن خدمات الشيخ الثعالبي ، في جامعة آل البيت، على كل من رئيس الوزراء (وكان المرحوم ياسينالهاشمي) ووزير الاوقاف ، فاتفق الراي على تعيينه في الجامعة ، فكتبت وزارة الاوقاف الىمجلس الوزراء بذلك .

ولكن مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة يوم١٩٢٥/٨/٨ ، قرر ما يلي(٧) :

« القرار السادس :ـ تلي كتاب وزارةالاوقاف ، الرقم ٦٤٠٦ المؤرخ في ١٩٢٥/٨/٤ ، المقترح فيه تعيين العلامة الشيخ عبدالعزيزالثعالبي ، مدرسا في الجامعة . فقرر مجلس الوزراء ان ينظر هذا الاقتراح عند النظر في ميزانيةوزارة الاوقاف . »

*** التعيين ينتظر التصديق :**

وهكذا بات امر تعيين الاستاذ الثعالبي ،مرهونا بتصديق ميزانية وزارة الاوقاف ، التي ترتبط بها الشعبة الدينية العالية من جامعة آلالبيت ارتباطا كليا . واخذت الايام تجرى بانتظار هذا التصديق .

وبتاريخ ١٩٢٥/١٢/٤ ، صادق مجلسالوزراء على هذه الميزانية .

*** رئيس الديوان الملكي يؤكد :**

وبتاريخ ١٩٢٥/١٢/٢٥ بعث رئيس الديوانالملكي بالرسالة الاتي نصها الى سكرتير مجلس الوزراء :

سعادة سكرتير مجلس الوزراء المحترم(٨)

ارجو منكم ان تعطفوا نظرة على (القرارالسادس) من مقررات مجلس الوزراء المتخذ في الجلسة المنعقدة في ٨ آب ١٩٢٥ ، بخصوص تعيينالشيخ عبدالعزيز الثعالبي ، مدرسا في جامعة آل البيت ، فقد مضى على تصديق ميزانية الاوقافزمن طويل والمسالة لا تزال معلقة .

وبما ان الجامعة في حاجة للاستفادة منمعارف الاستاذ ، يرغب صاحب الجلالة في ان ينظر فخامة رئيس الوزراء في الكتابة الى وزارة الاوقافبأمر تعيينه في اقرب وقت صيانة لاوقات التلاميذ من الضياع .

واقبلوا فائق الاحترام

رستم حيدر
رئيس الديوان الملكي

* * *

---

(٧) ملفات وزارة الاوقاف في المركز الوطني لحفظالوثائق .
(٨) ملفات البلاط الملكي في المركز الوطني لحفظ الوثائق .

وهكذا استمرت المخابرات بين البلاط الملكي ومجلس الوزراء ووزارة الاوقاف حتى صدر الأمر القاضي بتعيين الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ، استاذا لتدريس الفلسفة الاسلامية ، وحكمة التشريع في الجامعة .

وباشر الاستاذ عمله الجامعي في مطلع سنة ١٩٢٦ .

الاستاذ الجامعي

باشر الشيخ الثعالبي ، عمله في الجامعة ، حيث انيط به تدريس مادة (الفلسفة الاسلامية) في النصف الثاني منها ، ومادة (حكمة التشريع) في الصف الثالث .

وهكذا راح الثعالبي يدرس هاتين المادتين خلال الخمس سنوات التي قضاها استاذا في هذه الجامعة الى ان صدر الامر بالغائها في سنة ١٩٣٠ .

وقد سألنا الاستاذ رشيد العبيدي ، وكان واحدا من تلاميذه المقربين اليه ، عن الانطباعات التي يحتفظ بها عن استاذه فقال :

ـ (لقد كان المغفور له الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ، استاذا كبيرا حقا ، اذ كنا نستمع اليه وهو يلقي محاضراته ، وكلنا اذان صاغية ، معجبين بمتانة لغته وسلامة لفظه وحسن تعبيره وسعة مادته في موضوعه . لقد كان هذا الطراز من الاساتذة ، شيئا جديدا ، علينا ، نحن طلاب جامعة آل البيت ، اذ لم نر له من قبل مثيلا ، الا اللهم المغفور له الاستاذ فهمي المدرس ، رئيس الجامعة .)

* نموذجان من محاضراته :

ولما سألنا الاستاذ العبيدي ، عما اذا كانت تلك المحاضرات قد طبعت ام لا ؟ اجاب :

ـ نعم ، لقد طبعت على صفحات مجلة (الجامعة) التي احتفظ باعدادها حتى اليوم .

ثم تفضل مشكورا وقدم المجلد الذي ضم تلك المحاضرات .

ولما كان معظم دارسي حياة هذه الشخصية التونسية الكبيرة ، غير مطلعين على هذه المحاضرات ، فها نحن اولاء ، نبين لهم نبذة عنها وفق ما يلي :

اولا ـ الفلسفة الاسلامية :

نشرت على صفحات العدد السادس الصادر في ١ تموز ١٩٢٧ فجاءت بـ (٤٧) صفحة من القطع الكبير .

ونشر القسم الثاني منها في العدد السابع من المجلة المذكورة الصادر في ايلول ١٩٢٧ ، فجاءت بـ (٥٤) صفحة من القطع الكبير ايضا .

* نموذج منها :

وندرج فيما يلي ، نموذجا من تلك المحاضرات اذ قال في مقدمة محاضراته في (الفلسفة الاسلامية) ما نصه :

(دين الاسلام

دين الاسلام ، دين اصلاح وانقلاب ، جاء لهداية البشر قاطبة ، وشرع لهم نظما عامة ، واحكاما شاملة في العقائد ، والعلم والسياسة والاجتماع .

ولما كانت هذه النظم والتعاليم ، نزلت في بلاد العرب ، في وضع عربي ملائمة للذوق العربي ، وتلقاها العرب مباشرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان اثرها فيهم ادل واوضح منه في غيرهم من الامم التي اقتبسته منهم ، واخذته بالمحاكاة والتقليد عنهم . لذلك يمكننا اعتبار الصبغة الاسلامية الاولى ، التي تطور بها العرب في صدر الاسلام ، هي المثل الاعلى الذي نتصور فيه ، حكمة هذا الدين وجلاله .

ولكي نميط اللثام عن الانقلابات العظيمة التي احدثها الاسلام في الامة ونطلع على ما يكتنفه من بدائع الحقائق وغوامض الاسرار ، ينبغي ان نبحث عن اصل العرق العربي ، ونستقري احوال البيئات التي تفرعت منه ونتقب عما قام به اوابتكره من الاعمال وما اقتبسه من غيره من الشرايع والاديان ، حتى نعلم مبلغ قوته ، وضعفه وتأثيره في سير المدنيات القديمة ، وتطورها فيه ، وتدقيق ذلك في الاصقاع المختلفة التي تبسط فيها هذا العرق ، وكذلك الامراض المزمنة التي انتابت تلك العظمة ، ونزلت بها الى منزلة الحقارة من الامم المغلوبة، ثم اودت بها الى التفسخ والانحلال . كما يصف ذلك كتاب الاسلام ويصورونه ، في اقبح الصور ، وابشع المناظر ، وهو ما لا يتفق مع الواقع ولا تقره سنن الوجود ، لان الامم التي تنحط الى هذه الوهدة ، لا تكون فيها قابلية ، ولا استعداد للنهوض ولا ملكات لتلقي المبادىء والتعاليم) .

ثانيا ــ حكمة التشريع :

اما محاضراته المطبوعة عن (حكمة التشريع) فقد نشر بعضها على صفحات المجلة في عددها السادس ايضا ، وجاءت بـ (٥٣) صفحة من القطع الكبير ايضا .

ونقدم للقاريء ، ما افتتح به الثعالبي ، تلك المحاضرات ، اذ قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

*** العرب قبل الاسلام :**

كان العرب يتألفون من قبائل شتى ، ولكل قبيلة اله ، وكانت لهم فيما غبر من التاريخ ، مدنيات ضخمة ودول عديدة ، ظهرت في العراق وسورية وفلسطين واليمن ، تشهد بعظمتها اثارهم الخالدة ، وهي لم تزل ، موضع البحث والتنقيب واعجاب الامم واليهم مرد العرق السامي والهداية الالهية ، فمنهم ظهر الانبياء والرسل ، وعلى قلوبهم نزلت الشرايع ، لكن احتكاكهم بالاجانب والاغيار ، اوجد فيهم عوامل اجتماعية مختلفة ، كانت سببا في انقسامهم ، وتقلب الامم عليهم . فكانوا في اشد الحاجة الى مخلص اجتماعي ، يكون وحدتهم وينقذها من سلطان المتغلبين عليها ، ولا وسيلة لذلك ، غير الدين .

*** حاجة العرب الى الدين :**

كان احتياج العرب الى الدين ، احتياجا طبيعيا ، واكبر وظيفة قام بها ، اصلاح العقائد ، والاداب ، والنظم بطرق لم يستنكرها العرب ، ولم يتجافوها ، بحيث لم يكد يظهر الاسلام بين العرب، حتى تلاه اعظم انقلاب اجتماعي في العالم .

لذلك يجب على الباحث في الديانة الاسلامية، ان يفحص قبل كل شيء ، تاريخ هذه الامة ، ويبحث عن عقائدها وادابها وعاداتها ، وسائر احوالها الاجتماعية ، حتى يقف عن كثب على روحية الاسلام وحقايقه ..)

لقد اثبتنا نص هذين النموذجين ، اللذين نقلناهما من محاضراته المطبوعة في مادتي (الفلسفة الاسلامية) و (حكمة التشريع) رغبة منا في اعطاء القاريء ، مثلا من كتابة هذا الرجل الكبير ، وصورة من صور انشائه ، واسلوبه في البحث والتحقيق .

شخصية الثعالبي

ولعل من المناسب جدا ، ان نرسم صورة قلمية لشخصية هذا الرجل الكبير ، كما حدد بعض ملامحها لنا ، الاستاذ رشيد العبيدي ، اذ قال :

(لقد كان الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ، رحمه الله ، شخصا يميل الى الطول قليلا ، بدين الجسم ، ممتلىء الجثة ، راسه كبير ، عيناه وسيعتان ، تبدوان من وراء زجاج نظارته ، التي استقرت على انفه ، في شيء من البراءة .

يرتدي البدلة الافرنجية من سترة وبنطلون ،ويضع على راسه الطربوش التونسي ، ويلبس فوق هذه البدلة عباءة صيفا وشتاء . تغطي صفحتي خده وذقنه ، لحية خفيفة .

واذا خرج من بيته ، قاصدا مكانا ما ، فانه لا تفارق العصا او ما كان يسمى انذاك بـ (الباسطون) .

وهو فوق كل ذلك ، رجل لطيف المعشر ،لبق الحديث ، فصيح اللسان ، في صوته رنين ، يجيد اللغة الافرنسية اجادة تامة تكلما وكتابة ..)

ندوة سياسية ادبية

ولما صدر الامر بتعيينه ، استاذا في الجامعة،وان حياته في بغداد ، سوف تستقر على هذا الاساس ، انتقل من الفندق الذي كان فيه ، الى الدار التي استاجرها في محلة الميدان ، وهي الدار التي اتخذتها جريدة (الزمان) بعد مغادرته العراق ، مقرا لمطابعها ولا تزال كذلك حتى يومنا هذا .

وقد خصص صباح كل يوم الجمعة من كل اسبوع ، ندوة ، يستقبل فيها اصدقاءه ومعارفه من الشخصيات السياسية والادبية .

وكان في مقدمة هؤلاء ، كما اعلمنا الاستاذ العبيدي ، المرحومون ، جعفر العسكري ، ياسين الهاشمي ، طه الهاشمي ، فهمي المدرس ، معروف الرصافي ، عبداللطيف الفلاحي ، طه الراوي ، منير القاضي ، يوسف العطا وغيرهم من الادباء .

وكانت اجتماعات هذه الندوة ، السياسية والادبية ، تحفل بشتى الاحاديث التاريخية والسياسية والادبية ، التي تتناول شؤون الساعة في الوطن العربي ، مشرقه ومغربه ، وما يجد من احداث وتطورات في شتى مجالات الحياة العامة .

وقد بقي هذا المجلس ، ينعقد في موعده ،حتى اغلق في سنة ١٩٣٠ عندما غادر صاحبه بغداد الى القاهرة كما سنرى .

الثعالبي وادباء العراق

قلنا ان مجلس الثعالبي ، كان يجمع عددا من رجالات الادب والسياسة في العراق ، لا سيما اولئك الذين كانت لهم به معرفة منذ ان كانوا في استانبول .

ومن ابرز هؤلاء الادباء والشعراء ، المرحومون فهمي المدرس ، معروف الرصافي ، عبداللطيف الفلاحي ، طه الراوي ، طه الهاشمي ، منير القاضي ، يوسف العطا ؛ ومن الاحياء الاستاذ محمود صبحي الدفتري وغيرهم .

ونقدم فيما يلي لمحة خاطفة عن علاقة بعض هؤلاء بالشيخ الثعالبي ، وفق ما يلي :

١ ـ الثعالبي والرصافي :

وكان شاعر العراق الكبير ، معروف الرصافي ، اكثر هؤلاء اتصالا بالثعالبي ، وامتن صداقة به من غيره ، وكان الرصافي يعرفه منذ ان رآه في استانبول ، وقد سجل انطباعاته عنه قائلا(٩) :

(فمن خطباء العصر الذين ، عرفناهم ،عبدالعزيز التونسي ، وقد اجتمعت به في القسطنطينية ، قبل بضع سنين ، فرايته من ابين الناس ، وكنت معجبا بحسن بيانه جدا ، وهو يتكلم العربية الفصحى دون تلجلج ولا تلعثم . وقد اخبروني ، انه يخطب بالفرنساوية كما يخطب بالعربية ..)

---

(٩) كتاب الرصافي واراؤه اللغوية والنقدية . الدكتور احمد مطلوب . القاهرة ١٩٧٠ .

: ولذلك لم يكن غريبـــا على الرصـــافي ،استقباله بقصيدته التي اثبتنا نصها انفا وقد زادت هذه العلاقة قوة ومتانة في بغداد .

وحين مـــر الزعيم الهنـــدي (محمد علي)ببغداد سنة ١٩٢٨ ، واقام له الثعالبي ، مأدبة ، تكريما له ، القى الرصافي ، قصيدته التي جعـلعنوانها (الفيل والحمل) ومطلعها :

اليـك زعيم الهنـــد اوردها هنـــا سؤالا له ارجـــو الجـــواب المفضلا
فنحن هنـــا في مجلس ذي امانـــة فلم يخش فيـــه الحـــر ان يتقـــولا

* * *

*** الملك فيصل والرصافي :**

لم تكن العلاقة بين الملك فيصـــل الاول ،والرصافي ، حسنة ، عندما قـــدم الثعالبي الى بغداد ، بل كانت سيئة جدا . وكانت قصـــيدةالرصافي التي هجا فيها الملك حسين شريف مكة ملك الحجاز ونشـــرها بعنوان (ثالث ثلاثة) هيالتي اغضبت فيصل الاول وجعلته يحقد عليه . ولكي يكون القاريء على بينة من هذا الهجاء المرتبت له هذه الابيات :

هي النفـــوس وان لم تبلغ الحلمـــا مطبوعة الطبـــع ان لؤما وان كرمـــا
قالوا الشريف ولو صحت شرافتـــه لم ينقض العهـــد او لم يخفر الذمما
فكيف وهـــو الذي بانت خيانتـــه فصرحت عن طبـــاع تخجل الكرما ؟

* * *

وهناك قصائد ومقطعات عدة نظمها في هجاءالملك فيصل نفسه والبلاط الملكي ورجاله كمـــا هو معلوم .

ومهما يكن من شيء ، فان الثعالبي حين جاءالعراق واستقر في بغداد ووقف على هذه العلاقة، ساءه ان تظل النفرة قائمة بين الملك والرصافي ،لذلك فكر باتخاذ الخطوات اللازمـــة لاصلاح ذات البين بينهما وقد وفق في ذلك . اما كيف حـــدثذلك ؟ هذا ما رواه المرحوم سعيد البدري في كتيبه الموسوم بـ (الرصافي في اعوامه الاخيرة)(١٠) اذقال :

(... وقد رغب الشيخ الثعالبي ، ان تكونلصديقه الرصافي مثل ما له من حظوة كبرى عند الملك الهاشمي الكريم ، وهو شاعر الامة العربيـــةومن حقه ان ينال رضى مؤسس الدولة العراقية، وان يسبغ عليه لطفه ورعايته ، ففاتح الملك بذلكوصادف من جلالته استحســـانا ، وامر بالاجتمـــاع به في القصر الملكي فبلغ الشيخ الثعالبي ، الرصافيبهذا الامر ..) وقال البدري :

(قال الرصافي ، ذهبت وعبدالعزيز الثعالبيالى القصر الملي العامر ، الذي هو اليوم بنايـــة مجلس الامة(١١) ، فدخلنا الى غرفة استقبـــالكبيرة في الطابق الثاني من القصر وكان جلالة الملك فيصـــل الاول واقفـــا فتقدمت اليه ومد يدهفصافحته مصافحة قوية وكان مبتســما تعلو وجهه اثار البشر والسرور ، وبعد ان صافح الثعالبي ،امرنا بالجلوس بالقرب منه ، انا عن يمينه والثعالبي عن يســاره ، ثم قال جلالته :

ـ انا اشكر عبدالعزيز الذي مهد لنا هـــذاالاجتماع ! فقمت له :

ـ الشكر لجلالتكم يا سيدي .

ثم التفت الملك الي وقال :

ـ يا معروف اني اعتبرك من الان احد افراداسرتنا ولا اريد لك الا الخير . فقلت له :

ـ يا سيدي ، هذا شرف عظيم لي ، مـــنجلالتكم .

---

(١٠) اصدره سنة ١٩٥٠ بالاشتراك مع الاستاذ نعمـــانماهر الكنعاني .

(١١) جرت هذه المقابلة في اواخر سنة ١٩٢٨ .

ثم تحدثنا حديثا عن الماضي او الحياة التي قضيتها في الاستانة وفي القدس . (ولم يذكر الرصافي نوع هذا الحديث)(١٢) ثم قال الرصافي :

ـ بعد ان استأذنا جلالته في الانصراف ووقفنا مودعين ، قال جلالته يخاطبني والثعالبي :

ـ اذا لم يكن احد سوانا حاضرا ، ارجو ان تكون هذه الزيارة وهذا الحديث سرا مكتوما بيننا لا يذاع لاحد ، فلبينا امر جلالته وصافحناه وانصرفنا ..) .

ثم يستطرد البدري لما جرى بعد هذه الزيارة فقال :

(قال الرصافي

وبعد عشرة ايام استدعيت الى البلاط الملكي وانا لا ادري الذي استدعيت من اجله ، فذهبت وقابلت رئيس التشريفات الذي افهمني بان اقابل جلالة الملك ، وقادني الى غرفة وفتح الباب واشار علي بالدخول فدخلت فسد باب الغرفة ورجع . فرايت جلالة الملك فيصل الاول واقفا وقبل ان اصافح جلالته قال :

ـ لماذا يا معروف ؟ لماذا يا معروف ؟ اهذا هو السر ؟

قلت :

ـ عفوا يا سيدي ماذا حدث ؟!

وكان جلالته غاضبا ، متأثرا ، ثم التفت الى المنضدة فاخذ بيده جريدة مصرية(١٣) ، وقال :

ـ اقرا يا معروف .

فتناولت الجريدة من يده وقرات مقالا طويلا في وصف الاجتماع ، في القصر الملكي ، وتوسط عبدالعزيز الثعالبي ، والحديث الذي دار بيننا حرفيا !

ثم القيت الجريدة وقلت لجلالة الملك فيصل الاول :

ـ يا سيدي ، ان الاجتماع والحديث الذي دار بيننا نحن الثلاثة ، لم يحضره احد سوانا فجلالتكم اسمى من ان تنقلوه لاحد ، اما انا فاقسم لكم بالله وبشرفي ، باني لم اذع منه كلمة لاي بشر ! ولكن سيدي الا تلتفتون الى المقال ، فانه كتب بشكل يفهم ان كاتبه يقصد به الدعاية الى الثعالبي ؟

اني بهذه الكلمة خففت من حدة غضبه وتاثره ، ثم اعاد جلالته قراءة المقال وانصرف ذهنه قليلا عن توجيه تهمتي بافشاء هذا السر الذي استكتمه ، جلالته ، واكدت له من فحوى المقال ان الثعالبي ، يرمي الى الحصول على جاه جديد في عمله هذا ، فقبل جلالته معذرتي وهو متاثر ، فاستاذنت جلالته وانصرفت وانا مقتنع بان الثعالبي هو الذي كتب هذا المقال ونشره وسبب غضب الملك وانزعاجه ..)

* انفصام عرى الصداقة :

ان هذه الواقعة كانت القشة التي قصمت ظهر البعير ، وادت الى انفصام عرى الصداقة بين

---

(١٢) اشيع بعد هذه الزيارة : ان الملك قال للرصافي معاتبا :

ـ انا يا معروف من يعدد اياما ويأخذ راتبا ؟ فاجابه الرصافي قائلا :

ـ ارجو ان لا تكون كذلك يا مولاي !

واذا صحت هذه الاشاعة ، فان الملك يقصد الى ما قاله الرصافي معرضا به في قصيدته التي انشدها في بيروت ١٩٢٢ بعنوان (تجاه الريحاني) وقال فيها :

لهم ملك تابى عصابة راسه ... لها غير سيف (التيمسين) عاصبا

وليس له من امرهم غير انه ... يعدد اياما ويأخذ راتبا

(١٣) هذه الجريدة هي جريدة (الشورى) لصاحبها محمد علي الطاهر وكان الشيخ الثعالبي ، نفسه مراسلها في بغداد كما ابد لنا ذلك الاستاذ محمد بهجة الاثري .

الثعالبي والرصافي بصورة نهائية . اما كيف كانذلك فهذا ما يرويه لنا البدري عن الرصافي اذ قال ..

(... عدت من البلاط الى داري وانا فيحالة عصبية وفي ثورة نفسية ، مستاءا ومنفعلا من هذه العملية التي اقدم عليها عبدالعزيز الثعالبي،وقررت ان اعاتبه واؤنبه على عمله هذا ثم اقطع كل علاقة وصداقة معه .

وفي عصر اليوم نفسه زارني الثعالبي في داري،فقمت بوجهه معاتبا مؤنبا وقلت له :

ـ لِمَ يا عبدالعزيز ؟ هل انت محروم‌الجاه ؟ لماذا افشيت هذا السر واغضبت جلالة الملك ؟ انني لا اقبل لك عذرا ، وهذا فراق بينيوبينك .

وقد حاول الثعالبي الاعتذار بعدم علمهبالمقال وناشره ، فلم اقبل له عذرا ، لقناعتي وتاكدي بانه هو الذي افشى هذه الاسرار ونشرهافي جريدة مصرية ، ولم يقصد بها الا الدعاية لنفسه ، بانه من الزعماء الذين يتوسطون بين الملكوالرعية .)

وهكذا انفصمت عرى الصداقة بين الرجلين ،وظلت مقطوعة الحبال بينهما الى ان غادر الثعالبي بغداد في سنة ١٩٣٠ .

٢ ـ الثعالبي والزهاوي :

لقد وقف القاريء ، على تلك القصة الطريفةالتي رويتها عن الزهاوي بمناسبة اقامة حفل تكريم الثعالبي ، وما اسفرت عن نتائج .

ومع هذا نتساءل : هل قامت بين الزهاويوالثعالبي علاقة بعد ذلك ؟ الظاهر انها لم تقم لا بسبب تلك الحادثة ؛ بل لكون الرصافي ، كان بعدذلك من اصدقاء الثعالبي المقربين له ، فكيف يزور الثعالبي وهو في اشد ايام خصومته ؟

اما الثعالبي ، فانه بعد ان وقف على هذهالخصومة بين الشاعرين الكبيرين ، ساءه الحال وقرر المشاركة في الجهود الرامية الى وضع حدلهذه الخصومة . ولما نجحت هذه المساعي الحميدة اقام السيد محمود صبحي الدفتري حفلةشاي في داره مساء يوم ١٩٢٨/١٢/٨ وكان الثعالبي في طليعة الحاضرين .

٣ ـ الثعالبي وطه الراوي :

ومن اصدقائه ؛ الاستاذ طه الراوي ، رحمهالله ، اذ كان لا يفارق مجلسه لما قامت بين الاثنين من علاقة متينة . وقد عثرنا في ملفات الراوي ،على رسالة (كتبت من قبل احد طلاب الثعالبي بخط جيد)(١١) بعث بها الى احد اصدقائه فيمصر .

٤ ـ الثعالبي والاثري :

ومن كبار الادباء الذين قامت بينه علاقة ودوصداقة ، الاستاذ الكبير محمد بهجة الاثري تلك الصداقة التي ظلت صلاتها قائمة بينهما حتى بعدمغادرته العراق الى القاهرة .

قال لنا الاستاذ الاثري ؛ ان الفضل في قيامهذه الصداقة يعود الى المرحوم الاستاذ طه الراوي وكان ذلك في اواخر سنة ١٩٢٦ ، عندما ذهبواياه لزيارة الثعالبي ، بعد ان ابلغه بعتاب الثعالبي عليه لعدم زيارته مثل غيره من الشخصياتالسياسية والادبية .

وهكذا راحت هذه العلاقة تزداد قوة ومتانةعلى مر الايام واصبح الاثري ممن يترددون على الشيخ الثعالبي ، صباح مساء لا سيما عندما كانبيته قريبا من مدرسة الاعدادية المركزية التي كان الاستاذ الاثري مدرسا فيها .

ويحتفظ استاذنا الاثري بكثير من الذكرياتعن الثعالبي خلال حياته في بغداد وهي من حصيلتها ذكريات سياسية وادبية طريفة .

---

(١١) قال لنا الاستاذ الاثري ان خط الثعالبي رديءتصعب قراءته .

احمد حسن الزيات والشيخ الثعالبي

ـ في صيف بغداد ـ

كانت الحكومة العراقية قد انتدبت الاستاذالمرحوم احمد حسن الزيات لتدريس اداب اللغة العربية في مدرسة دار المعلمين العليا ببغداد . كانذلك في نهاية سنة ١٩٢٩ .

وحين وصل الاستاذ الزيات الى بغدادواستقر به المقام فيها ، كان في مقدمة الذين سعى للتعرف بهم الشيخ الثعالبي ، فكان يحضر مجلسهالاسبوعي ويشارك في احاديثه الادبية وغيرها . وقد ظلت هذه العلاقة قائمة الى ان غادر الثعالبيبغداد قاصدا مصر سنة ١٩٣٠ .

وما دمنا نكتب عن صلة الثعالبي بادباء العراقننقل الصورة التي رسمها الاستاذ الزيات عن حالة الشيخ الثعالبي في احدى امسيات بغداد في يوم منايام اشهر الصيف الشديدة الحر وهي قوله(١٥) :

(وحسبي ان اذكر لك في سبيل الترفيه ،يوما من ايام بغداد وليلة من ليالي دجلة ، قضيتها مع صديقي المرحوم السيد عبدالعزيز الثعالبيالزعيم التونسي المعروف وكان يومئذ لاجئا بعاصمة العراق من اضطهاد فرنسا ام الحريات !

دعاني الزعيم ذات نهار من انهار تموز الىالغداء ، فتحاملت على نفسي وذهبت اليه ، في الظهيرة فوجدته في الحجرة السفلى من داره ،متهالكا على فراشه ، وقد تعرى جسده البدين البطين ، الا من ازار كازار الحمام ، فقلت مداعبا :

ـ اتحرم يا استاذ في غير وقت الحج ؟!

فقال على البديهة ، وهو يضحك ضحكتهالعريضة المذبة .

ـ وكيف لا احرم وهذه شمس بغداد ترميالجمرات ؟!

فعجبت من جمال نوريته وحضور ذهنه ،على الرغم مما كان يقاسي من لهاث الحر وتفصد العرق .

وتخففت من بعض ثيابي ، ثم جلست اناقلهالحديث ، وتعجب كيف ازدهرت حضارة العباسيين في هذا القيظ الطويل ، واستبحر عمرانهم في هذاالخمود الملازم ؛ وكان الرجل قد وضع على مسافة متر منه مروحة كهربائية كبيرة وجعلها ترسل علىجسده العاري الضخم ، هباتها القوية من الهواء الحار فكانت لا تنفس عن صدره ولا تخفف منكربه ، فيقوم الى الحمام فينقع جسمه في الماء ثم يعود ليعود اليه الخناق واللهاث والحر والعرق ،واشتدت الحال ، فعجزت عن الكلام وعجز هو عن الاصغاء . وظللنا نتردد بين غرفة الحمامموحجرة الطعام حتى سكنت فورة الحر الخ ..)

الغاء جامعة آل البيت

وفي سنة ١٩٣٠ قررت الحكومة الغاء جامعةآل البيت ، والاستعاضة عن ذلك بارسال البعثات الى مصر على حساب وزارة الاوقاف .

ولما كان الالغاء في نهاية السنة الدراسية اي في مطلع صيف سنة ١٩٣٠ ؛ فقد توقف صرف راتب الشيخ الثعالبي الامر الذي جعل البلاطالملكي يتدخل في ذلك وبتاريخ ١٩٣٠/٤/٢٦ كتب الكتاب الاتي صورته ، الى سكرتير مجلس الوزراءيقول فيها :

(امرت ان اخاطب فخامة رئيس الوزراء ،بشأن الاستاذ عبدالعزيز الثعالبي ، فقد علم صاحب الجلالة ان فخامة رئيس الوزراء ينوي انيعهد الى الاستاذ مراقبة البعثة العلمية (التي

(١٥) نقلا من كتابه (ادب الزيات في العراق) تاليفالاستاذ جمالالدين الالوسي . بيروت ١٩٧١ .

تقرر على اثر الغاء جامعة آل البيت) ان توفدهامديرية الاوقاف العامة الى مصر ، وبالنظر الى ما هو معروف عن فضله وتجاربـــه ، فان صـــاحبالجلالة يجد فكرة فخامة الرئيس ولكن هذه البرهة ينبغي ان تسدد رواتب الموما اليه لغاية الســـنةالدراسية بما فيها اشهر العطلة ، اسوة بالمعلمين المستخدمين في وزارة المعارف .)

رئيس الديوان الملكي

رستم حيـدر

*

*** الثعالبي يغادر العراق**

وفي ضـــوء هـــذه المراسلات ، تقرر تعيينالشيخ الثعالبي مراقبا لبعثة الاوقاف في مصر ، وبعد ان تقاضى رواتب العطلة الصيفية ، غـــادربغداد في نهاية شهر ايلول من سنة ١٩٣٠ بعد ان اقام فيها مدة خمس سنوات تاركا له في اوساطهاالسياسية والثقافية والادبية والاجتماعية ، ذكريات طيبة ، كانت وما تزال حديث المجالس والمنتديات .

WWW.ATTAWEEL.COM